باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن المهمة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ورعاعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطولة

طاولة الزهر او النرد

في رواية « نال ودامان » الهندية

قرأت في مقتطف شهر مايو الماضي (صفحة ٦٠٠) ان لعبة النرد او طاولة الزهر استنبطت في القرن العاشر بعد الميلاد وفقاً لما نشرهُ المؤرخ الانكليزي جوزيف Strutt (سنة ١٨٠٢) فجئت بهذه المجالة لاثبات ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية نال ودامان الهندية وهي من فصول كتاب مهابهاراته الشهير وهو احد الاسفار الثلاثة المقدَّسة عند الهنود ويرجع وضعهُ الى القرن العشرين قبل الميلاد. وفي روايات الهنود ان الناسك ڤياسا الذي طال عمرهُ على الارض (على رأيهم) الوفاً من السنين نظَّم ديوان مهابهاراته وهو يتضمن ٢٢٠٠٠٠٠ بيت ويعدّ من اندر المؤلفات الى الآن في فصاحته وقصصه ونوادره وتمثيله العواطف البشرية وآداب النفوس . فنرى في ديوان مهابهاراته انباء الحروب والمعارك التي اشتركت فيها الآلهة مع البشر ومناهج الغرام وقانون الآداب وتعاليم الدين والمباحث العلمية والخطب البليغة وغير ذلك ولا يقابلهُ عند الشرقيين في بلادنا غير الالياذة والاوديسية لهوميروس الشاعر اليوناني الشرقي الشهير

ويُقسَّم ديوان مهابهاراته الى ١٨ فصلاً (او « پرفان ») وفي الفصل الثالث منهُ رواية نال ودامان التي نحن في صددها وهي ترمي الى تقبيح لعب القمار وتبيين اضراره

وسوء عقباهُ . وهي طويلة وكثيرة الابواب وتقع في اثنين وخمسمائة بيت تقريباً . وحرية بان تنقل الى اللغة العربية ليرى لاعبو القمار غرورهم وغوايتهم وسوء منقلبهم فيما يسترسلون . وحسبنا ان نطلع الى مضمونها وهو انهُ كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند مملكة نيشاداه ومملكة فيدرفه وكان على الاولى ملك حازم في شرخ الشباب مشهور بمحاسن جمالهِ ولطف خلقهِ وسرعة خاطرهِ واقدامهِ في الحروب وتضلعهِ من تعاليم « الفيدا » واحكامها حتى اصبح امام عصره ورئيس الدين في بلادهِ وكان يدعى « نال »

وكان على مملكة فيدرفه امير من افاضل الامراء اسمهُ « فيم » ولهُ ابنة فتاة المحاسن تدعى « دامان » انتشر صيتها في الآفاق وملأ خبر جمالها الاندية والاسماع حتى بلغ مقام الآلهة في السماء . فطلبوها زوجةً لهم فأبت مجاراتهم فعقدوا مجلساً قرروا فيهِ ان ينتقموا منها ولا يتركوها حتى تكفّر عن معصيتها . واوعزوا الى ربّ الشر « اسكار » ان يصبَّ عليها جام نقمتهُ ايان حلت وحيث رحلت . ولم يدر احد بما قرّروهُ بشأنها . ولا يخفى ان الامم في عصور الجاهلية جعلوا الآلهة كسائر الانس نفساً وجسداً ولم يميزوهم الاَّ بالقدرة والخلود فجعلوا لهم طعاماً وشراباً ومجالس أنس وطرب . ونسبوا اليهم مجالسة البشر في ولائمهم وقالوا انهم يتناسلون ويتولدون الانسيات ويزوجون بناتهم من البشر ويماثلونهم بعواطفهم وشعائرهم وطرق معاشهم وملاهيهم وتصورهم ومركباتهم ومنهم البنّاء والحدّاد والساقي والساعي وهلمَّ جرًّا

وحان وقت زواج نال ملك نيشاداه فاجتمع اليهِ اقطاب مملكتهِ يحدثونهُ بمحاسن دامان ويحثونهُ على الاقتران بها وهو لم يعرفها . وما خبرهم الى فيم والدها فاحب لو تمَّ ذلك القران السعيد . وكان نال ممن يستميلهُ حب الحسان وتستهويه فتنة الجمال فيمنو لصولته . فخايل قلبهُ حبها واخذ يترقب الفرص للاجتماع بها . وكان يوماً في البراري يتصيد على حسب عادة الامراء . فمرَّ به سربٌ من الاوزّ فاحتال على واحدةٍ منها وقبض عليها . واخذ يقلّب نظرهُ في جناحيها فتحركت شفتاها بأعجوبةٍ من السماء وقالت لهُ : دعني واطلقني ايها الامير . فان اكلتني فلا اسدُّ جوعاً وان اطلقتني خدمتك اهنأ خدمة . قال : وما هي فقالت اني اذهب الى دامان الحسناء اقول لها ان تختارك زوجاً لها دون سائر الامراء وتهنأ هي بك هناءً لا تتمتع بهِ مع غيرك . ففرح نال وقرّت عيناهُ باقوالها وحسبها آية مرسلة من السماء اليهِ . واضمر الحبّ لدامان وبات صريع الغرام من ذلك اليوم

فذهبت الاوزة للحال الى فيدرفه ومرّت بالروضة التي خرجت اليها ذامان وحامت حولها كانها تقول لها امسكيني فمدّت يدها وقبضت عليها واخذت تتفرّس في محاسن خلقها وتكلمها وتأسف على وقوعها بين يديها . فتحركت شفتاها بالعجوبة وقالت لها . لا تأسفي على وقوعي بين يديك ايتها الحسناء . اني اتيت اعرض عليك الزواج بالملك نال الذي لا يليق الاّ بك . وقد جئت اليك من عنده وسحرته بحبك فرأيتهُ مغرماً بك وقد خبلهُ حسنك . فاطلبيه يأتِ على عجل فاطلقت دامان الاوزة للحال وعادت الى قصرها مدلّهة الفؤاد وباتت تلك الليلة رهينة الوساوس والبلبال حتى اصبحت كاسفة البال وعلى وجهها امارات الاصفرار . فوهم والدها انها مصابة بعلّة فاراد استدعاء الاطباء فابت الاميرة فكشفت لهُ السرّ . فاستدعى للحال « نال » امير نيشاوا ومعهُ سائر الامراء . فابت دامان الاّ التزوج من نال فسرّ بهِ اقطاب المملكة والامراء وعمّت الافراح وبعد ان قضى نال معهم بضعة ايام عاد الى مملكتهِ فاستقبلتهُ الرعية احسن استقبال . واسرع الامراء والاشراف يهنئونهُ ويدعون لهُ بالمسرات والافراح

وكان لنال اخ اسمهُ بوسكار يقيم في احدى المدن وحدهُ فأوحي اليهِ ان يقصد الى قصر اخيهِ الملك يلعب معهُ بطاولة الزهر وان يكون على ثقة انهُ لا يصاب بخسارة لان الزهر الذي يحكم في الالعاب يعضدهُ ويتمم عليهِ ما يريد بفضل رب الشرّ «اسكار» الذي اذا دخل الزهر عكس ما يوافق عدوّهُ وهيأ ما يوافق صديقهُ فتخيل لبوسكار انهُ ملك الملك وهان عليهِ طرد اخيهِ مع زوجته منهُ . وقام من ساعتهِ فقطع الفيافي والانجاد حتى وصل الى العاصمة ودخل القصر فسلّم على اخيهِ نال وهنأهُ بزواجهِ ودعا لهُ بالسعد والرغد في كل أوان وزمان ثم سألهُ ان يلعب معهُ بطاولة الزهر فقبل وكان الزهر يعاكس نال في كل رمية حتى حار نال في امرهِ وكانت الخسارة تداهمهُ من حيث لا يتوقعها وما شعر الاّ بفقدهِ اموالهُ كلها مع مملكته نفسها ثم عنّ لهُ ان يلعب على زوجته دامان فخسرها ايضاً وخرج من قصرهِ بخفيّ حنين لا يدري ماذا يعمل والى أين فاتى بوسكار الى زوجة اخيهِ دامان وأنبأها بما جرى لزوجها من الخسارة وسألها اما ان ترحل واما ان تبقى في القصر زوجةً لهُ فأبت نفسها الاّ ملازمة خليلها الاول وقالت لهُ لا افارق زوجي حيث يذهب اذهب واني مشاركتهُ في احزانهِ كما شاركتهُ في افراحه . فخرجت مع زوجها نال الى البراري وغضب بوسكار على دامان من تجاسرها على ردّ طلبه ولكي ينتقم منها امر بقطعها من الشعب ومنعها مع

زوجها من كل مخالطة حتى في مقتضيات الحياة الضرورية حتى صار نال ودامان يقتاتان من عُشْب البراري واوراق الاشجار وقضيا اياماً طويلة على تلك الحال وهما صابران على مضض البلوى من غير شكوى يقطعان البراري ويتسلقان الجبال ويصارعان الوحوش الضارية والافاعي الهائلة حتى التقيا بقافلة من النسَّاك فسألهم نال ان يحسنوا اليه بأن يوصلوهُ مع زوجتهِ الى عاصمة مملكة فيدرفه وقصَّ عليهم ما جرى لهُ مع اخيهِ فأمروهُ حالاً ان يركب مركبهم قسرا وغيَّروا السير الذي كانوا يقصدونهُ واوصلوهُ الى فيدرفه مع زوجتهِ . ولبث نال زماناً طويلاً في قصر حميه الى ان جهز لهُ حموهُ جيشاً جراراً فسار بهِ الى القتال لاسترداد مملكته ولما قرب من الحدود خرج اليهِ اخوهُ بوسكار وكان جباناً « خوَّاراً » لا يرد عليهِ ذكر القتال حتى يخلع قلبهُ وتزلزل قدماهُ وقال لهُ يا اخي قد ربحت منك الملك بزهر الطاولة فما اولاك ان تستردَّهُ بزهر الطاولة كذلك . على ان الآلهة كانوا قد غفروا ذنب دامان وحسبوا ما تكبدتهُ من الاتعاب والجوع والعري في البراري والجبال كفَّارة تامة عن معاصيها فلم يتعرَّضوا هذه المرة للزهر فغلب نال اخاهُ في كل لعبة وكل رمية . فاستردَّ الملك مع امواله وخزائنه وطرد اخاهُ بوسكار خارج المملكة واصدر الامر باعدام كل من لعب بزهر الطاولة لغير التنزه وترويح النفس . انتهت الرواية

أما طاولة الزهر التي كان الهنود يلعبون بها في تلك العصور الخالية فكانت على هيئة صليب مربَّع متساوي الاطراف وحجارتها كانت نفس حجارة الشطرنج وعددها ١٦ وكانوا يسمونها « اكشنجا » من « اكشا » الحجرة الواحدة والربع الذي تدور فيهِ « اكشافاتا » والقاء الزهر « اكشابانا » واللعبة كلها « اكشاديانم » واللاعب « اكشافايا » وربما اتينا على تفصيل اللعب نفسه ايضاً فنكتفي الآن بما ذكرناهُ

الارشمندريت الياس اسطفان

رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية

علاقة التاريخ بالعلوم والآداب

ان الغرض الذي يخدمهُ التاريخ يمتُّ الى العلم والادب بسبب. ولتعرُّف هذا السبب يجب ان ندرس اغراض العلم واغراض الادب

ان اغراض العلم الخالص واضحة ، فهو يعلمنا كيف نحصل على الغذاء ، والدواء ،

والناس، وسرعة الانتقال من مكان الى آخر، والتراسل والاتصال مع ملايين الناس. وبمساعدة العلم الحديث زادت ثروة الناس المادية ، وتوفرت لهم اسباب الرفه والسعادة وأن كان قد احتكرها فريق من الناس دون الفريق الآخر — وعلى العموم فهذه الزيادة الهائلة في قوى الانسان في حياته الحاضرة بخيرها وشرها هي من عمل العلم الحديث . وفوائد مكتشفات العلوم الطبيعية الحديثة ومساوئها واضحة لنا جميعاً

واغراض الادب الخالصة وفوائده واضحة كذلك — فهو يدخل السرور والعزاء والانتعاش على افكار الانسان . وفيه تهذيب لعقله وروحه معاً

بقي ان نعرف اغراض التاريخ ومزاياه حتى نميز علاقته بالعلم والادب . اما التاريخ فلا يقوم بما يقوم به العلم الخالص مما اسلفناه . فباحثه لا تزيد شيئاً في قوة الانسان المادية ولا في رفهه وسعادته . حتى فرع التاريخ العلمي — التنقيب العلمي — فالجانب العلمي فيه انما هو في الاسلوب فقط . وبذلك لا يمكن ان نجاري تأثيره العملية في الاهمية نتائج المكتشفات في العلوم الطبيعية

فاكتشاف « كارتر » وزميله لدقن « توت عنخ امون » لم يحدث أي تغير في كيان المجتمع الاقتصادي ولا زاد في مقدار تسلط الانسان على الطبيعة . وقيمة اكتشافه الوحيدة تنحصر في توسيع الفكر البشري وفي زيادة تصور الانسان للماضي . فالحلي الثمينة والاثاث النفيس والآنية التي وجدت مطمورة في قبر ذلك الملك منذ آلاف السنين كلها مناظر جديدة مثيرة لنا جميعاً ولكنها لا تحدث أي تغير مادي في العالم . فهي قد غذت أرواحنا فقط ولم تغذ جسومنا قط

فاذا اعتبرنا التاريخ كعلم . فمن ناحية النتيجة لا يمكن ان يكون له من الشأن ما للعلوم الطبيعية . فضلاً عن ان التاريخ من ناحية الاسلوب والنتيجة ليس من الدقة والتحقيق كذلك الذي يمكن ان يقرره العالم في المعمل . فاي غاز او سائل لا يمكن تحليله بدقة كاملة . بعكس اي عصر من العصور او ثورة من الثورات . لان العصر او الثورة يمكن رسمها من الخارج فقط وبطريقة غير مضبوطة ، ولو كان مؤرخ احدهما من كبار علماء التاريخ . اذ لا يمكن التحقق من اكثر من واحد من البليون من الحقائق التي كونت عوامل الثورة واحوالها او هيأت اسباب العصر الذي يراد شرحه . فمثلاً تحليل الثورة الروسية علمياً يستلزم من بين الاشياء الكثيرة اللازمة لهذا التحليل معرفة كل حركات العمال في اوربا كلها منذ عهد الثورة الصناعية الى الآن . ورغم عدم ضبط التاريخ واستيفائه

اذا قيس بالمقياس العلمي فعمل المؤرخ يستحق الثناء الذي يتفق عليه لان كتابة عصر او تحليل ثورة امتع والذ واكثر سوغاً للنفس من تحليل غاز او سائل

فالتاريخ علم ما دامت الروح التي يجمع بها ويرتب روح علمية ولكنهُ عند الشرح والاستنتاج يخرج الى ناحية اخرى . فسقط عن المؤرخ تلك الصفة التي يتصف بها العالم الطبيعي . وعليه اذا كان من الضروري تقييد التاريخ في الاسلوب والنتيجة اذا اريد اعتباره كعلم خالص كذلك يجب تقييده اذا اريد اعتباره كادب خالص . وان كان لا يمكن تحديد مدى هذا التقييد بالضبط . فامثال « جبون وكروبتكن » يمكنهم ان يستخدموا ما يشاءون من الادب في كتاباتهم . اذ لديهم من القدرة والذكاء والاستعداد ما يبيح لهم ذلك

اما على العموم فليس للتاريخ من الحرية الادبية ما للادب الخالص اذ يلزم ان يكون التاريخ رق الحقيقة . والا فقد اسم « التاريخ » . كما يجب ان لا يعتمد في مادة سرده على المخيلة — كما في الشعر والقصة — ولكن يجب الاعتماد فيها على الاسلوب العلمي الدقيق الذي يستعمل لاخراج حقيقة الماضي الصريحة

ويندر جداً ان يكون المؤرخ لا بل حتى « مؤرخ الحياة » على مقربة من مناظر الدرامة البشرية كما يتهيأ للروائي او الدرامي الذي يمكنهُ ان يكون في قلب الاشخاص الذين يدعهم بنفسه . وقد يكون « كرمول » كانسان امتع من « هاملت » لان الاول كان لهُ وجود . اما الآخر فمن خلق المؤلف . ولكننا لا يمكننا ان نعرف « كرمول » بالفعل كما نعرف « هملت » لان تدوينات التاريخ اقل التصاقاً باصحابها من القصة

صحيح ان « شكسبير » قد عالج موضوعات تاريخية فجعلنا نعرف « ريكاردس الثاني » و « مرقس انطونيوس » عن طريق شروحه التحليلية لها ولكن شروح التاريخ في العادة انقص واقل في التصوير من تصوير شكسبير لهذين الشخصين. على ان شكسبير لم يحاول قط عملاً تاريخياً ولكنهُ استخدم الشعر والقصة في موضوعات تاريخية . وهذا بالطبع لا يعد حقيقة تاريخية ولو ان التاريخ هو الذي اوحى به

ومن جهة اخرى عند ما كتب المؤرخ الامريكي الشهير « جون ريد » عن الثورة الروسية ذكر الاشياء التي شاهدها بالفعل والاقوال التي سمعها بنفسه تاركاً للقراء الاثر الذي يحسون به. فهو احد مشهوري المؤرخين لانهُ دوّن بصدق حوادث الثورة وتأثيرها الفعلي مع الاقتراب من اشخاصها وهذا مما لا يوجد عادة الا في القصة وحدها

وعدا تقصير التاريخ عن قوة تصوير الاشخاص عن كتب فانهُ يكابد نقائص اخرى. فترتيب الوقائع واوضاعها لا يمكن اخراجها بالضبط اذ كثيراً ما تتأخر التتائج اجيالاً فيضل الاستنتاج . وحتى تتناسب « الحقائق الفنية » مع مطالب «الحقائق التاريخية» يلزم المؤرخ ان يدور ويجتزىء

ويندر كثيراً ان تكون الحقائق التاريخية في غرابتها وتأثيرها اكثر مما عليه أية قصة . وعند ما تقع فرصة فذة في يدي استاذ من اصحاب القصص التاريخية (كثورة ١٦٨٨ في يدي ماكولي) نحصل على كتابة ممتعة غير عادية اذ يسير الفن والتاريخ معاً في تطابق تام . ولكن هذه الفرص الفذة نادرة فالتاريخ ادب في قمته ادب في مصاعبه

وهذه المصاعب هي التي تعطي التاريخ قيمته ففيها تسلية للقراء ومشغلة لفراغ الطلبة. اذ لدتنا في التاريخ تتوقف على مقدار اعتقادنا في صحة الحوادث التي يمكن تمثيلها والتي كان لها مرة وجود في زمن ومكان ما ، مهما يكن التمثيل ناقصاً

واذا اراد المؤرخ ان يرسم صورة صحيحة لعصر من العصور الماضية فهو في حاجة الى روح علمية لشرح العصر وفي حاجة كذلك الى فن الادب لكي يستطيع رسم الصورة التي بناها على اساس الحقائق . لان الحقيقة التي قامت في الماضي مع كل ما احاطها من التقييدات لا يمكن ان تسرد فقط في شكل احصائيات او في عدة حقائق صامتة . لان الماضي كان حيًّا تتقد في حوادثه حرارة الحياة . فعلى المؤرخ ان يعرضهُ للقراء علوءا حرارة وحياة اولاً . فالتاريخ الهادئ تاريخ كاذب لان الماضي لم يقع لم يكن هادئاً . ومع هذا يلاحظ ان التاريخ الذي تلتظي في صفحاته حرارة الحياة يميل كثيراً عن جادة الصواب وخصوصاً اذا ما كانت حرارته مستمدة من التصور الشخصي لا من حياة الماضي كما هي

وعليه فالتاريخ اصعب انواع التآليف لانهُ يستلزم اتحاد الاساليب العلمية والادبية وهذا مما لا يكمل في مؤرخ واحد وعلى ذلك لا توجد تواريخ كاملة

وعدا هذا توجد انواع مختلفة من التاريخ وانواع مختلفة من المؤرخين فني مكنة عالم واحد ان يفهم ما يلزمهُ فهمهُ عن بعض المسائل ولكن ليس في مكنة مؤرخ واحد ان يفهم كل ما كان في عقلية عصر او امة اذ ماضي الانسانية كبير جداً لا يحويه دماغ فرد واحد

ومما اسلفنا يظهر مدى اتصال التاريخ بالعلم والادب وعدم مكنة تجريده عن احدهما او عنهما معاً

محمود حسني المرابي